

كنز الفوائد

[222] ولا يزيله عن رتبته وعقله بل يكون فيما فعله حكيمًا وبدفع المضرة عنه عليمًا وكالقاضي الذي دخلت ذبابة في ثوبه وحصلت بينه وبين جسمه وهو بين شهوده وفي مجلس قضاة وحكمه فازجرته بأذيتها وأقلقته بثقلها وأخذ يتحرك لها أنواع الحركة ويتلوى منها إلى كل جهة ويكثر من توقفه واضطرابه ويطيل تطلعه في ثيابه والناس يشاهدون أفعاله ولا يعرفون فلما دام أمرها وطال لبثها حسن منه النهوض عن مجلسه والخلو لأزالتها بنفسه فالجاهل من سارع إلى سوء الظن به وقدم على استنقاصه في فعله والعاقل الذي يعلم أن أمرًا قد دهمه وشيئًا الجاه إلى ما طهر منه واضطره ونحو هذا من الأفعال العجيبة والأحوال الطريفة الذي يتفق لذوي العقول السليمة والآراء الصحيحة فيقع منهم أكثر مما ذكرت وفوق ما وصفت ويكون الواجب تصويبهم فيه وإن لم يعلم الأسباب الداعية لهم إليه ولقد اضطرت يوما إلى الحضور مع قوم من المتصوفين فلما ضمنا المجلس أخذوا فيما جرت به عادتهم من الغناء والرقص فاعتزلتهم إلى إحدى الجهات وانضاف إلى رجل من أهل الفضل والديانات فتحدثنا ذم الصوفية على ما يصنعون وفساد أغراضهم فيما يتأولوه وقبح ما يفعلون من الحركة والقيام وما يدخلون على أنفسهم في الرقص من الآلام فكان الرجل لقولي مصوبا وللقوم في فعلهم مخطئا ولم نزل كذلك إلى أن غنى مغني القوم هذه الأبيات * وما أم مكحول المدامع ترتعي * ترى الإنسان وحشا وهي تانس بالوحش * غدت فارتعت ثم انثنت لرضاعه * فلم تلف شيئا من قوائمه الخمش * فطافت بذاك القاع ولهي فصادفت * سباع الفلا ينهشنه أيما نهش * باوجع مني يوم طلت أنا مل * تودعني بالدر من شبك النقش * فلما سمع صاحبي نهض مسرعا مبادرا ففعل من القفز والرقص والبكاء واللطم وما يزيد على ما فعله من قبله ممن كان يخطئه ويستجهله وأخذ يستعيد من الشعر ما لا يحسن استعادته ولا جرت عادتهم بالطرب على مثله وهو قوله * فطافت بذاك القاع ولهي * فصادفت سباع الفلا ينهشنه أيما نهش * ويفعل بنفسه ما حكيت ولا يسئل من غير هذا البيت حتى بلغ من نفسه المجهود ووقع كالمغشى عليه من الموت فحيرني ما رايت من حاله وأخذت أفكر في أفعاله
